

القرآن والتفسير

أنزل الله القرآن بلسان عربي مبين، وجعله مصدرا للهداية وناموسا للفلاح والرشاد، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ (المائدة: ١٥، ١٦). وقد جدت في أيامنا عوامل متعددة جعلت كثيرين منا، يتطلعون إلى حياة أفضل، ويتلمسون سبل الإصلاح، وميادين التقدم والازدهار، ونرى أن نهضة المسلمين لا تكون صحيحة عن تجربة، ولا سهلة متيسرة، ولا رائعة مدهشة، إلا عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن، ونظمه الحكيم التي روعيت فيها جميع عناصر السعادة للنوع البشري.

وبدهي أن العمل بهذه التعاليم لا يكون إلا بعد فهم القرآن وتدبره، والوقوف على ما حوى من نصح وارشاد، والإلمام بمبادئه، عن طريق تلك القوة الهائلة التي يحملها أسلوبه المعجز وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان لما تدل عليه ألفاظ القرآن. «وهو ما نسميه بعلم التفسير».

خصوصا في هذه العصور الأخيرة التي فسدت فيها ملكة البيان العربي، وضاعت فيها خصائص العروبة حتى من سلائل العرب أنفسهم.

فالتفسير هو مفتاح هذه الكنوز والذخائر التي احتواها هذا الكتاب المجيد النازل لإصلاح البشر، وإنقاذ الناس، وتكريم الإنسان.

ويدون التفسير لا يمكن الوصول إلى هذه الكنوز والذخائر، مهما بالغ الناس في ترديد ألفاظ القرآن، وتوافروا على قراءته، كل يوم ألف مرة بجميع وجوهه التي نزل عليها.